أثر نفط كركوك على ترحيل الكُرد من كركوك وتعريبها

البروفيسور الدكتور آزاد نقشبندي

مقدمة:

الهدف الرئيس من هذا البحث هو بلورة دور نفط كركرك وتأثيره على ترحيل كُرد محافظة كركوك وتعريبها. تكمن أهمية البحث في أن كركوك هي إحدى محافظات كُردستان العراق، ومنذ بداية تأسيس الدولة العراقية بعد الحرب العالمية الأولى ١٩٢١، لعب پترول كركوك دوراً فاعلاً في تقرير مصير كُردستان الجنوبية وإلحاقها بالدولة العراقية الحديثة التشكيل[١]. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن لمسألة ترحيل الكُرد عن كركوك وتعريبها أهمية كبيرة، لا لأنها غيرّتْ من طبيعة سكان هذه المنطقة أو المحافظة فحسب، بل لأنها كانت ومازالت احدى العقبات المهمة التي تعترض طريق حل القضية الكُردية في كُردستان العراق.

ولأجل تحقيق البحث لأهدافه ارتأينا توزيعه على محاور، هي:

أولاً – نبذة عن التاريخ الإداري لكركوك.

ثانياً – كُردستانية كركوك.

ثالثاً – نفط كركوك وأهميته.

رابعاً – ترحيل الكُرد من محافظة كركوك وتعريبها.

خامساً – نتائج ترحيل الكُرد من كركوك، وتعريبها.

وفي الختام ننهي البحث بأهم نتائجه.

أولاً – نبذة عن التاريخ الإداري لكركوك

يذكر المؤرخون عن منطقة كركوك ما يلي: «إن منطقة كركوك تضم الأماكن الواقعة بين جبل زاگروس، ونهري الزاب الصغير ودجلة، وسلسلة جبل حمرين، ونهر سيروان – ديالى» وهي نفس المنطقة المعروفة في عهد الساسانيين، بـ(گرمكان) Garmakan أي البلاد الحارة.

أما الانسكلوبيديا الإسلامية فقد أشارت الى الحدود الجغرافية لمنطقة كركوك، كما يلي:

(١) لزيادة المعلومات حول هذا الموضوع أنظر: الحزب الديمقراطي الكُردستاني، المكتب السياسي، المكتب المركزي للدراسات والبحوث، نفط كُردستان العراق، النفط والمصير السياسي للكُرد وكُردستان، القسم الثاني، الدراسة رقم (٣٢)، أربيل ١٩٩٨.

«نهر الزاب من الشمال الغربي، جبل حمرين من الجنوب الغربي، نهر ديالى من الجنوب الشرقي، وجبل زاگروس من الشمال الشرقي»[٢].

أمّا ما يخص الوضع الإداري لكركوك، فتذكر الأنسكلوپيديا الإسلامية قائلة:

«كانت كركوك في القرن الثامن عشر مركزاً لأيالة شهرزور التي كانت تضم الوية كركوك، وأربيل، والسليمانية. ثم أُطلق إسم شهرزور على سنجق كركوك، وأضيف اليه لواء كركوك وأُلحق به في وقت تم فيه فصل شهرزور نفسه (السليمانية) عن هذا السنجق الجديد، في عام ١٨٧٩ تشكلت ولاية الموصل، وبقيت كركوك أيضاً كمدينة عسكرية مهمة».

وتمضي الإنسكلوپيديا الإسلامية فتقول:

«تألفت ولاية الموصل العثمانية من ثلاثة سناجق أو ألوية، وهي كل من: الموصل، كركوك، والسليمانية. وفي عام ١٩١٨ إقتُطعت ثلاثة أقضية في شمال نهر الزاب الصغير من كركوك، وشُكلت منها لواء أربيل – ¼ولير»[٣].

وعن مدينة كركوك، كتب قاموس الأعلام:

«تقع مدينة كركوك في ولاية الموصل التابعة لكُردستان، وتبعد (١٦٠) كيلومتراً عن الجنوب الشرقي لمدينة الموصل، والمدينة (كركوك) هي مركز سنجق شهرزور»[٤].

بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، كانت كركوك تُدار إدارياً مباشرة من قبل الضباط السياسيين البريطانيين، ولم يكن القسم الأعظم من سكانها راضين لتتويج الأمير فيصل ملكاً على العراق. ولذلك لم تصبح كركوك جزءاً من الدولة العراقية الى أن قرر بعد ذلك (مجلس عصبة الأمم) في إجتماعه المرقم (٣٧) في جنيف بتاريخ ١٦ كانون الأول عام ١٩٢٤ إلحاق الأراضي الواقعة جنوب الخط المعروف بخط بروكسل الى الدولة العراقية الجديدة. وهكذا بعد تنفيذ هذا القرار في عام ١٩٢٥ صارت كركوك جزءاً من الدولة العراقية. وبعد إلحاق منطقة كركوك بالعراق من الناحية الإدارية، بقيت كركوك طوال فترة الحكم الملكي في العراق واحداً من الألوية العراقية الـ(١٤) التي تشكلت منها الدولة العراقية، وشملت الوحدات الإدارية التالية:

١– قضاء كركوك، وتألف من: ناحية مركز وقضاء كركوك، ناحية قره حسن (لَيلان). ناحية آلتون كوپري (پردي)، ناحية الحويجة، ناحية شوان (ريدار).

٢– قضاء كفري، وتألف من: ناحية مركز قضاء كفري، ناحية قرتتپة، ناحية شيروان، ناحية پيباز.

٣– قضاء طوزخورماتو، وتألف من: ناحية مركز قضاء طوزخورماتو، ناحية قادر كرم، ناحية داقوق.

٤– قضاء چمچمال، وتألف من: ناحية مركز قضاء چمچمال، ناحية آغجلر، ناحية سنگاو.

(٢) نوري الطالباني، منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي، لندن ١٩٩٥، ص٧.
(٣) نفس المصدر ص٨.
(٤) نفس المصدر ص٨.

ولهذا فإن كركوك وبموجب هذه التشكيلة التي تمت الإشارة إليها، كانت مساحتها تبلغ (٢٠٣٥٥) كيلومتراً مربعاً، ولها حدودها الإدارية مع ألوية: (أربيل، السليمانية، ديالى، بغداد، الموصل)، أنظر الخريطة رقم (١).

والحدود الإدارية هذه للواء كركوك في العهد الملكي هي نفس الحدود ذات العلاقة ببحثنا حول أثر نفط كركوك على ترحيل الكُرد منها وتعريبها.

ثانياً - كُردستان كركوك

ليس هناك شك من كُردستانية كركوك وكُردية لوائها أرضاً وشعباً تشير كافة الوثائق الجغرافية والتاريخية الى ذلك، وهنا سنتناول بعضها على سبيل المثال:

١- كتبت الإنسكلوپيديا الإسلامية عن منطقة كركوك قائلة:

«إن الحكام الحقيقيين لهذه المنطقة كانوا من رؤساء الكُرد القاطنين في منطقة أردلان، وإستطاعت السلطات العثمانية بعد ذلك وبالإعتماد على نشاطات الأمراء في شهرزور فرض سلطانها على هذه المدينة - مدينة كركوك».

٢- يتناول شمس الدين سامي العلامة والرحالة التركي المعروف، ومؤلف قاموس الأعلام التركي في الصفحة ٣٨٤٦ للمجلد الخامس مدينة كركوك، فيقول:

«كركوك هي احدى مدن كُردستان التابعة لولاية الموصل وثلاثة أرباع سكانها من الكُرد، والباقي من الترك والعرب واليهود والكلدان».

وفي موضع آخر من المجلد نفسه، وفي الصفحة ٣٨٤٠ عندما يتحدث عن الكُرد ووطنهم كُردستان ومدنهم، ويأتي الى ذكر إسم كركوك، فانه يصفها بأنها من أهم المدن الكُردستانية[٥].

٣- لقد كان توزيع نسبة سكان مدينة كركوك من الناحية القومية حسب إحصائية لجنة عصبة الأمم على الشكل التالي: الكُرد ٦٣٪، التركمان ١٩٪، العرب ١٨٪. كما وتؤكد الإحصائيات التابعة للحكومة العراقية هذه الحقيقة من أن النسبة العظمى لسكان مدينة كركوك كانت من الكُرد وكما يلي: الكُرد ٥٩,٩٪، التركمان ٢١٪، العرب ١٩,٥٪[٦].

خمّنت لجنة عصبة الأمم الخاصة بحل قضية أو مشكلة الموصل في عام ١٩٢٤ نسبة الكُرد في لواء كركوك بأكثر من ٤٢,٥٤٪، والعرب بأقل من ٣٢٪، ومعلوم أن نسبة الكُرد في لواء كركوك كانت أكثر مما ذهبت إليه عصبة الأمم، ونسبة العرب كانت أقل من تلك التخمينات، لأن نسبة السكان الكُرد في لواء كركوك بلغت حسب إحصاء عام ١٩٤٧، ٥٣٪ من مجموع سكان اللواء.

٤- الدليل السنوي للدولة العراقية الصادر عام ١٩٣٦ يتطرق في الصفحة (١٤٣) حول الدورة السادسة لإنتخابات مجلس الأمة في ٨ آب عام ١٩٣٥، يتطرق الى أسماء ممثلي الشعب الى

(٥) نفس المصدر ص٨.
(٦) نفس المصدر ص١٥.

المجلس في الألوية العراقية – الذي كان يأخذ بنظر الإعتبار في إنتحاب ممثل أي لواء الطابع القومي والديني والطائفي لسكانه – ودوّن ممثلي لواء كركوك والذين بلغ عددهم (٦) ممثلين منهم (٤) أربعة كُرد، وهم السادة: دارا بگ الداودي، داود الجاف، علي رضا العسكري، فائق الطالباني، وأمّا الممثلين الآخرين فكان أحدهما من العرب والآخر من التركمان[٧]. وهذه الحالة تكررت بعد ذلك في العديد من الدورات الإنتخابية لمجلس الأمة[٨].

٥- يؤكد العديد من الكتاب العرب كُردية (كُردستانية) المناطق النفطية في كركوك، وحَسْبُنا هنا الإشارة الى رأي كاتب قومي عربي وهو هلال ناجي المحامي، إذ يقول:

«المناطق التي يستخرج منها النفط في كركوك، جميعها مناطق كُردية، وما عدا القرى الكُردية وسكانها الكُرد لم يكن فيها غيرهم حتى عام ١٩٦٣ حينما قامت الحكومة العراقية بترحيل المواطنين الكُرد من قراهم على مرأىً من أنظار الرأي العام العالمي وأسكنت مكانهم العشائر العربية»[٩].

٦- يتفق الكتاب الأجانب والكُرد والقسم الأكبر من الكتاب العرب على أن مساحة لواء كركوك عامة جزء لايتجزأ من كُردستان، وذلك عند إشارتهم الى حدود كُردستان بشكل عام، أو حدود إقليم كُردستان العراق بشكل خاص[١٠].

٧- حسب تخمينات مفوضية التحقيق عن مشكلة الموصل الذي أجري عام ١٩٢٤، كانت نسبة الكُرد في لواء كركوك ٤٢,٥٪، ونسبة العرب ٣٢٪[١١]. وبلغت نسبة السكان الكُرد في لواء كركوك حسب إحصائية عام ١٩٤٧، ٥٢٪ ووفق كتاب (الإحصاء في العراق) الصادر عام ١٩٥٤ كانت نسبة سكان الكُرد في هذا اللواء ٥٣٪[١٢]. وإنخفضت هذه النسبة في إحصاء عام ١٩٥٧ الى ٤٨,٣٪. إضافة الى تطبيق عمليات التعريب والتلاعب في الإحصائيات، فقد كانت نسبة الكُرد في قضاء كركوك حسب إحصائية عام ١٩٦٥ أكثر من نسبة العرب والتركمان. (٣٤,٨٪ الكُرد، ٣٠,٦٪ العرب، ٢٤,٢٪ التركمان)[١٣].

(٧) أنظر: أ- هلكوت محمد كريم كركوك واصالة كُرديتها، جريدة الإتحاد العدد ٢٣ في ١٠ نيسان ١٩٩٣ ص١٠. ب- وريا جاف، كركوك دراسة سياسية وإجتماعية، وزارة الثقافة-أربيل ص٢٠.

(٨) ليلى نامق الجاف، كركوك؛ لمحات تاريخية، مطبعة خبات أربيل ١٩٩٢ ص٩.

(٩) هلكوت محمد كريم، المصدر السابق ١٩٩٣ ص١٠.

(١٠) انظر، وريا الجاف نفس المصدر ص١٦٥ - ١٦٧.

(١١)الدكتور نوري الطالباني، من أجل حوار عربي كُردي صريح، جريدة الإتحاد العدد ٣٣ حزيران ١٩٩٣ ص١٩ القسم الأول.

(١٢) أنظر: (أ) الدكتور آزاد النقشبندي حول تحديد حدود كُردستان، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢ السنة (٣) تموز ١٩٩٤. (ب) سليمان عبدالله اسماعيل، التحليل الجغرافي لخصائص الأمطار في إقليم كُردستان العراق، رسالة ماجستير قدمت الى مجلس كلية الآداب في جامعة صلاح الدين ١٩٩٤ ص١١-٢١.

(١٣) فاضل حسين، مشكلة الموصل، دراسة في الدبلوماسية العراقية الإنكليزية التركية وفي الرأي العام، بغداد ١٩٧٧، ص١٢٠.

٨- تشكل العشائر الكُردية غالبية نسب العشائر للواء كركوك، ويذكر الدليل السنوي للدولة العراقية الصادر عام ١٩٣٦ خلال استعراضه لسكان وعشائر لواء كركوك من مجموع ١٣ عشيرة أسماء (٩) عشائر كُردية و(٣) عشائر عربية وعشيرة تركمانية واحدة[١٤].

٩- ان رئاسة بلدية كركوك التي تعتبر منصباً هاماً، كانت تناط بشخص يمثل غالبية سكان اللواء، وقد أُنيط هذا المنصب في العهد العثماني وكذلك في العهد الملكي في العراق بالدرجة الأولى بالكُرد، وفي بعض الأحيان بالتركمان. لم يعين حتى عام ١٩٦٩ أي عربي رئيساً لبلدية كركوك، وكان مظهر التكريتي أول مواطن عربي أُنيط به هذا المنصب في ذلك العام[١٥].

١٠- مع أن غالبية العرب الذين تم إسكانهم اليوم في كركوك من المذهب السنّي، بيد أنه ليس لهم الى اليوم مقبرة خاصة بهم في مدينة كركوك، لأن جلهم تعود جذورهم الى خارج هذه المحافظة.

ثالثاً: نفط كركوك وأهميته:

لقد كان إستخراج النفط في كركوك (باباگوركور) معروفاً منذ (٥) آلاف سنة قبل الميلاد[١٦]. ومنذ أقدم العصور والى الآن ترتفع ألسنة الغازات الطبيعية الى السماء وتشتعل النيران، وكان سكان كركوك يعتقدون أن هذه هي النار الأزلية الواردة في سفر النبي دانيال، والأغرب من كل شيء في باباگرگر هو (لو أنك عبثتَ بالتراب بأصبعك أو بغصن ترى تدفق النيران رأساً، وإذا أردت سدّ منفذها بالتراب فإنها تبرز من مكان آخر، والأرض التي تتدفق منها هذه النار لاتتجاوز مساحتها غير عدة أمتار مربعة، تلتهب منها النيران من عشرات المنافذ والثقوب[١٧].

وقبل ألفين وثلاثمائة عام أشار هيرودوتس الى هذه النار الأزلية الملتهبة قرب مدينة كركوك، هذا عدا عن ظهور النفط في أرض المنطقة يعود الى زمن بنوخذنصر (٦٥٤ - ٥١٦ ق.م)[١٨]. ورغم أن الجيش العثماني في هذه المنطقة بدأ عام ١٦٣٩ وبوسائل بدائية إستخراج النفط لأغراض خاصة. لكن في الحقيقة أن تاريخ إستخراجه في كركوك بشكل منظم وتجاري يعود الى عام ١٩٢٧ عندما تمكنت شركة النفط التركية T.P.C التي تغير إسمها فيما بعد الى شركة نفط العراق (I.P.C) من إستخراج النفط في حقل باباگرگر. ومنذ ذلك التاريخ والى اليوم تعتبر منطقة كركوك من أهم المناطق النفطية في العراق. كما تثبت ذلك العوامل التالية:

١- تعتبر بيئة كركوك من أغنى بيئات الثروات النفطية، وذلك لأنّ إحتياطي نفط كركوك يشكل نسبة

(١٤) جزا توفيق طالب، نفس المصدر السابق، ص١٩٢.

(١٥) أنظر: (أ) الدكتور شاكر خصباك، العراق الشمالي دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية، جامعة بغداد ١٩٧٣، جدول ١٢، ص١٣٥. (ب) الحزب الديمقراطي الكُردستاني - المكتب السياسي، المكتب المركزي للدراسات والبحوث، نفس المصدر السابق ١٩٩٨، الجدول رقم ٢، ص٤٩.

(١٦) هلكوت محمد كريم، نفس المصدر، ص١٠.

(١٧) الدكتور نوري الطالباني، نفس المصدر، ص٢٤ - ٢٥.

(١٨) حكمت سامي سليمان، نفط العراق، دراسة إقتصادية، سياسية، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٧٩ ص٦٠.

عالية قياساً الى مجموع إحتياطي نفط كُردستان والعراق.

الإحصاءات تشير الى أن الإحتياطي الثابت للآبار النفطية في كركوك يشكل ٩٨,٧٨٪ من إحتياطي نفط أقليم كُردستان[١٩]، وأظهرت الدراسات الجديدة أن أكثر من نصف إحتياطي النفط العراقي يوجد في كُردستان العراق، ولاشك أن كركوك تملك حصة الأسد من إحتياطي نفط كُردستان.

٢- أنتجت الحقول النفطية في كركوك بين أعوام ١٩٢٧ - ١٩٧٤ أكثر من ٧٠,٢٪ من نفط العراق[٢٠]، وزاد إنتاج النفط في منطقة كركوك من (٦٢) مليون طن عام ١٩٧٤ الى (١٠٠) مليون طن في عام ١٩٧٩.

لقد كان نفط كركوك يشكل خلال سنوات الحرب العراقية - الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٨ نسبة كبيرة من إنتاج النفط العراقي بسبب بعد الحقول النفطية عن ميادين العمليات العسكرية، وهذه النسبة بلغت (٤٠) مليون طن في عام ١٩٨١ و١٢٦ مليون طن في عام ١٩٨٧[٢١].

وشكل إنتاج النفط في كركوك قياساً، الى مجمل إنتاج النفط العراقي نسبة كبيرة تبلغ ٦٧٪ في عام ١٩٩٧[٢٢]، لأنها كانت من جهة المصدر الرئيسي لصناعة تنقية النفط العراقي، ومن جهة أخرى فان مجلس الأمن الدولي وضمن تنفيذه القرار ٩٨٦ (مذكرة التفاهم بين العراق والأمم المتحدة المعروفة بقرار النفط مقابل الغذاء والدواء) كان مصراً على وجوب تصدير النفط العراقي عن طريق تركيا).

٣- ساهمت الحقول النفطية في كركوك خلال الأعوام ١٩٣١ الى ١٩٩٠ بأكثر من ٦٣٪ من المجموع الكلي لإيرادات النفط العراقي، وازدادت هذه النسبة خلال التسعينات. فعلى سبيل المثال ساهمت حقول نفط كركوك في عام ١٩٩٧ بأكثر من ٦٧,٧٪ من المجموع الكلي لإيرادات النفط في العراق، وعلينا ألاّ ننسى أنه حتى عام ١٩٥٠ كان نفط كركوك هو المصدر الرئيسي للنفط في العراق.

٤- إن نفط كركوك هو المصدر الرئيسي للنفط العراقي المصفّى، فها هي الإحصاءات في عام ١٩٩٧ تشير الى أن الحقول النفطية في كركوك تزود مصافي العراق يومياً بأكثر من (٤٤٥) ألف برميل من النفط من مجموع (٦٠٣) آلاف برميل (أي بأكثر من ٧٣,٧٪ من الإحتياجات النفطية لمصافي العراق المساهمة)[٢٣].

(١٩) عبدالحميد العلوچي، ود. خضر عباس اللامي؛ الأصول التاريخية للنفط العراقي، ج ١، بغداد ١٩٧٣، ص٣٥.

(٢٠) نفس المصدر السابق ص٣٥ كذلك أنظر: جرجيس فتح الله المحامي، النفط قرر مصير كُردستان السياسي، مجلة الثقافة الكُردية، ص١٨.

(٢١) نوري الطالباني، نفس المصدر ١٩٩٥، ص٣٠.

(٢٢) الحزب الديمقراطي الكُردستاني، المكتب السياسي، المكتب المركزي للدراسات والبحوث، نفط كُردستان العراق، دراسة تاريخية جيولوجية وجيوغرافية إقتصادية، القسم الأول، اربيل ١٩٩٧، جدول رقم ٦، ص٦٢.

(٢٣) الدكتور آزاد أمين النقشبندي، أهمية حقول كركوك النفطية، مجلة متين، عدد ٦٦ السنة الثالثة، تموز ١٩٩٧، ص١٠٧.

٥- مجموع كلفة التنقيب وإنتاج البرميل الواحد من النفط في منطقة كركوك أدنى من مجموع كلفة إنتاج النفط في العالم، وذلك بسبب السّمات الجيولوجية والجغرافية المتميزة لهذه الحقول[٢٤].

٦- سعر بيع البرميل الواحد من نفط كركوك أعلى من سعر بيع برميل النفط في جنوب العراق ليس لجودة نوعية النفط في كركوك فحسب؛ بل بسبب حضور نفط كركوك في موانيء البحر المتوسط حيث أن سعر النفط في هذه الموانيء بالمقارنة مع موانيء الخليج والبحر الأحمر كان أعلى بـ(٩٠) سنتاً أمريكياً من سعر النفط من موانيء الخليج[٢٥].

رابعاً: ترحيل الكُرد عن كركوك وتعريبها

إتضح لنا فيما سبق كُردستانية كركوك وأهمية نفطها بدلائل غير قابلة للشك، وسنحاول في هذا المحور تبيان أثر نفط كركوك على تهجير المواطنين الكُرد منها وتعريبها. ولانريد هنا التطرق الى دور نفط كركوك في تقرير مصير الشعب الكُردي في جنوب كُردستان وإلحاقها بالدولة العراقية الحديثة التكوين بعد الحرب العالمية الاولى، ولا كيف كان لنفط كركوك دوره البارز في عدم تأسيس دولة قومية مستقلة للشعب الكُردي بسبب مصالح الدول العظمى وقتئذ، لأن هذه المسألة خارجة عن نطاق هذا البحث الخاص بتحديد دور نفط كركوك في ترحيل الكُرد من كركوك وتعريب منطقة كركوك بعد إلحاقها بالدولة العراقية. وهنا يبرز سؤال وهو هل أن نفط كركوك أثّر على تحسين الأحوال المعيشية للكُرد في كركوك أم العكس هو الصحيح؟

إن الوقائع والأحداث القديمة والجديدة في منطقة كركوك تثبت بالمستمسكات والوثائق أنّ النفط في كركوك لعب دوراً سلبياً في حياة سكانها الكُرد. إن الأرقام والوثائق تثبت أن ترحيل المواطنين الكُرد من كركوك وتعريب منطقتها يعود بالدرجة الأولى الى نفطها، بحيث (يتم ترحيل الكُرد من أية منطقة من كركوك يوجد فيها النفط، وتعريب المناطق النفطية). وقد أصبح هذا شعار ودأب الحكومات العراقية، رغم أن مستوى تنفيذ هذا الشعار وطبيعته قد إختلفا من حكومة لأخرى. وتعتبر الأحداث التالية أمثلة ونماذج لإظهار الدور السلبي لنفط كركوك في الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية لكُرد كركوك:

١- ان العثمانيين كانوا يشجعون التركمان والعوائل التركية للسكن في منطقة كركوك عن طريق تعيينهم في المناصب الحكومية أو منح إمتيازات لهم، مثلاً منح العثمانيون إمتياز إستخراج النفط في باباگرگر الى عائلة (نفطچي زاده) التركمانية ليقوموا ببيعه الى سكان المنطقة[٢٦].

٢- شركة نفط العراق IPC التي حصلت على حق إستخراج النفط من منطقة كركوك كانت قد جلبت

(٢٤) د. آزاد محمدأمين النقشبندي وتغلب جرجيس داود: جغرافية الموارد الطبيعية، جامعة البصرة ١٩٩٠، جدول رقم ٨٥ ، ص٦٣٨.

(٢٥) Arab Petroleum Resarach Center, Arab Oil and Gas Directory, Paris 1997 P: 161.

(٢٦) Ibid P. 163.

عدداً كبيراً من العرب والأقليات الأخرى من خارج منطقة كركوك وعينتهم في الشركة وأسكنتهم في مكان سُمي بـ(عرفة) أو (كركوك الجديدة) وبنت لهم مئات المساكن، وكان معظم سكان هذه الدور من الآشوريين والأرمن والعرب والتركمان.

٣- الحكومات العراقية في العهد الملكي كانت تشجع العوائل العربية على السكن في منطقة كركوك، ومن أحد مظاهر تعريب المناطق النفطية من قبل الحكومة العراقية في العهد الملكي؛ إقامة مشاريع الري، ومن أبرز هذه المشاريع مشروع ري الحويجة الذي تم تنفيذه بالإعتماد على واردات النفط في كركوك. ويمكن إعتبار هذه العملية أول عملية لإسكان العرب في منطقة كركوك. وحسب إحصاء عام ١٩٥٧ بلغ عدد العرب الذين جرى إسكانهم في ناحية الحويجة (٢٧٧٠٥) نسمة[٢٧].

٤- إستمرت عملية تعريب المناطق النفطية في كركوك في العهد الجمهوري أيضاً، ونُفذت بشكل واسع وفق خطط وبرامج وسياسة مدروسة من قبل الدولة، تلك السياسة التي أضحتْ حسب قول أحد المحافظين السابقين لمحافظة كركوك: «جزءاً من سياسة الدولة العليا»[٢٨]. وفيما يلي نماذج للممارسات التي طبقتها الحكومة العراقية طيلة الحكم الجمهوري في منطقة كركوك، أو شجعت على تنفيذها:

أ- بعد حوادث كركوك في تموز عام ١٩٥٩ تم تشكيل عدد من المنظمات السرية في كركرك، وكان الدعم يُقدم لها من قبل الأجهزة المسؤولة في الدولة، وكان الواجب الرئيسي لهذه المنظمات السرية القيام بإرهاب وإغتيال المواطنين الكُرد في كركوك والتجاوز على أموالهم وممتلكاتهم بهدف إرغامهم على مغادرة كركوك.

ب - ان أول عمل قام به ما يسمى بالجيش القومي (الحرس القومي) بالتنسيق مع الأجهزة الأمنية في المدينة وبمشاركة جرافات البلدية في عام ١٩٦٣ هو هدم (الحي الجمهوري) بأكمله في منطقة الشورجة بكركوك، وكان الحي من أحد أكبر الأحياء الكُردية الفقيرة في المدينة[٢٩].

جـ - هدم القرى الكُردية القريبة من الحقول النفطية، وخلال حملة واحدة فقط في عام ١٩٦٣ هدمت الحكومة العراقية (١٣) قرية كُردية. وفي العام نفسه تم ترحيل كافة العوائل الكُردية من قرى منطقة دوبز (دبس)، وأسكنت بدلاً عنها العشائر العربية. وللتعرف على حجم عمليات الهدم والترحيل التي اصابت القرى الكُردية في منطقة كركوك تكفي ملاحظة الأرقام الواردة في الجدول رقم (١).

د- طرد أعداد كبيرة من العمال الكُرد من شركة نفط كركوك ونقلهم الى خارج المحافظة، شملت

(٢٧) أنظر: آزاد محمد امين النقشبندي، المميزات الجغرافية والجيولوجية لحقول كركوك النفطية، مجلة زانكو، العدد الخاص بوقائع المؤتمر العلمي الثالث، الدراسات الإنسانية لجامعة صلاح الدين -أربيل، اربيل ١٩٩٨، ص٤٣ - ٥٦.

(٢٨) د.آزاد محمدامين النقشبندي، أهمية حقول كركوك النفطية، مجلة متين العدد ٦٦، السنة الثالثة تموز ١٩٩٧، ص١٠٩.

(٢٩) د. نوري الطالباني، المصدر السابق ١٩٩٥ ص٢٤.

الجدول رقم (١) عمليات الهدم والترحيل في محافظة كركوك

المصدر: د. نوري الطالباني منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي لندن ١٩٩٥ ص ٧٧.

إسم القضاء	عدد القرى المهدمة	عدد المدارس المهدمة	عدد الجوامع المهدمة	عدد المراكز الصحية المهدمة	عدد العوائل المرحَّلة	مجموع المرحَّلين
مركز قضاء كركوك وقضاء دوبز/ دبس	٢١٨	١٦٠	١٩٠	٢١	١١٦٩٤	٦١٣٩٤
كفري عدا قره تپه	٨١	٦٠	٥٩	٦	٤٣٤٦	٢٢٨١٧
طوزخورماتو (طوز)	١٣٥	٧٩	١١١	٦	٧٩٤٢	–
چمچمال	١٦٤	١٠٢	١٥٧	٤	٩٨٦٦	٥١٧٩٧
كَلار	١٨١	٩٢	٨١	٣	٣٨٧٨	–
المجموع الكلي	٧٧٩	٤٩٣	٥٩٨	٤٠	٣٧٧٢٦	–

حملات الطرد هذه حتى صغار الموظفين والمعلمين أيضاً حتى إنهم لم يُسمح لهم بعد إحالتهم على التقاعد أو طردهم من أعمالهم بالعودة الى كركوك ليستقروا فيها كمواطنين عاديين.

هـ – جلب الموظفين والعمال العرب ليحلوا محل المواطنين والعمال الكُرد المطرودين ومنحهم أموالاً ووظائف لم يحلموا بها في مناطقهم الأصلية سابقاً.

و– إسكان عشرات الألوف من العوائل العربية ضمن عملية متواصلة في المناطق النفطية من كركوك بعد تأمين الدور السكنية والعمل لأعضائها وتوزيع الأراضي السكنية عليهم، فعلى سبيل المثال تم خلال السبعينات والثمانينات إقامة العديد من الأحياء السكنية للعرب الذين جُلبوا الى مدينة كركوك، (لاحظ الجدول رقم ٢).

ز– في صيف عام ١٩٨١ وكوجبة أولى تم توزيع (٨٠٠٠) قطعة أرض سكنية خلف نقطة سيطرة لَيلان على العوائل العربية التي جُلبت حديثاً ومُنح لهم دعم مالي يقدر بـ(١٩) ألف دينار (لكل عائلة)، وتم خلال الوجبة الثانية توزيع (٢٥٠٠٠) قطعة أرض سكنية أخرى على العوائل العربية شملت مساحة بلغ طولها (١٨) كيلومتراً على إمتداد منطقة لَيلان[٣٠].

ح– إن حملات الترحيل والتهجير لكُرد كركوك وتعريب المدينة متواصلة ولم تتوقف حتى ليوم واحد، ففي آذار عام ١٩٩١ هُدم زهاء (٨٠) داراً سكنية للكُرد والتركمان في محلة ألماس. تم بعدها

(٣٠) نفس المصدر، ص٣٤.

الجدول رقم (٣) النسبة المئوية للسكان الكُرد والعرب في محافظة كركوك

الوحدات الإدارية	القومية	١٩٥٧	١٩٦٥	١٩٧٧
محافظة كركوك	الكُرد	٪٤٨,٣	٪٣٨,٠٨	٪٣٧,٥٣
	العرب	٪٢٨,٢	٪٣٨,٩٦	٪٤٤,٤
مركز قضاء كركوك	الكُرد	٪٤٠,٩	٪٣٨,٤٩	٪٤٠,٥٩
	العرب	٪٢٠,٧	٪٢٢,٠٥	٪٣٨,٤٦

في حزيران من نفس العام هدم عشرات الدور السكنية للمواطنين الكُرد في محلة الشورجة الكُردية، والى اليوم تقوم سلطات المحافظة يومياً بإجبار الكرد في كركوك على الرحيل عن المدينة أو حمل أمتعتهم وأدواتهم المنزلية والتوجه الى جنوب العراق، أو بعد سلب حاجياتهم التوجه الى المناطق المحررة من أقليم كُردستان. واليوم فإن عشرات الألوف من العوائل الكُردية المرحلة عن كركوك تعيش في مدن وقصبات المناطق المحررة من كُردستان العراق.

ط- ولم تغفل عملية التعريب حتى الجانب الثقافي، حيث تواصل السلطات المركزية تغيير الأسماء الكُردية الى أسماء عربية، هذه العملية بدأت من تغيير إسم المحافظة من كركوك الى (التأميم)، كذلك تغيير أسماء القصبات والقرى والأحياء والمدارس والمحال... فمثلاً تم تغيير إسم محلة (رحيماوا) الى محلة (الأندلس)، وإعدادية كُردستان الى إعدادية عبدالملك بن مروان[٣١] .

ي- وبهدف إنجاح عملية تعريب كركوك قامت السلطات المركزية بإجراء عدد من التغييرات الإدارية على محافظة (لواء) كركوك صارت مبعثاً لتغيير الحدود الطبيعية للمحافظة ووحداتها الإدارية الى حدود إصطناعية تكون في خدمة عملية التعريب، وتتلخص هذه التغييرات في:

* فصل قضائي چمچمال وكلار عن محافظة كركوك وإلحاقهما بمحافظة السليمانية.
* فصل قضاء كفري عن محافظة كركوك وإلحاقه بمحافظة ديالى.
* فصل قضاء طوزخورماتو عن محافظة كركوك وإلحاقه بمحافظة صلاح الدين.
* فصل ناحية التون كوپري (پردي) وإلحاقها بمحافظة أربيل.

تغيير مراكز الوحدات الإدارية لمحافظة كركوك، وعلى هذا صارت القرية ناحية، والناحية الى قضاء، وحسب إحتياجات ومتطلبات تعريبها تحولت الأقضية أيضاً الى نواحٍ، والنواحي الى قرى، ولنفس الغرض (أنظر الخريطة رقم ٢).

(٣١) نفس المصدر، ص٤٧.

خامساً: ترحيل كُرد كركوك وتعريبها نجم عنهما مجموعة نتائج خطيرة أهمها:

١- ترحيل مئات الألوف من كُرد كركوك من المناطق النفطية فيها، حيث يتوزعون اليوم في مدن وقصبات أقليم كُردستان، ووسط وجنوب العراق، وحتى في خارج العراق، ويعانون ظروفاً إقتصادية وإجتماعية وسياسية بالغة الصعوبة، ولم تخف السلطات ممارساتها هذه فإن عمليات التهجير والترحيل تجري على قدم وساق امام إنظار الرأي العام العالمي ويتم تطبيقها يومياً. فقد ذكر مسؤول عراقي كبير في إجتماع واسع عقد في جامعة صوفيا في بلغاريا عام ١٩٧٤ فيما إذا كان صحيحاً ان الحكومة العراقية قامت بطرد العمال الكُرد من شركة نفط العراق، ذكر في الجواب قائلاً: بصراحة نحن على إستعداد ومن أجل نفط كركوك ألاّ نقوم بطرد العمال الكُرد من شركة نفط كركوك فحسب، بل طرد كافة الكُرد من كركوك[٣٢].

٢- هدم مئات القرى الكُردية في المناطق النفطية من كركوك، كذلك هدم المئات من الدور السكنية في المدينة حيث أن جرى هدم أقسام كبيرة لعدد من الأحياء الكُردية.

٣- تقليص مساحة محافظة كركوك وتقليص عدد وحداتها الإدارية. حيث أن مساحة محافظة كركوك كانت تبلغ حسب إحصاء عام ١٩٥٧ (٢٠٣٥٥) كيلومتراً مربعاً، تم تقليصها في بداية عام ١٩٩٠ الى ٩٦٧٩ كيلومتراً مربعاً فقط.

وفيما يتعلق بتقليص الوحدات الإدارية لمحافظة كركوك، فإن هناك اليوم فيما عدا قضائي الحويجة الذي تم تعريبه في أواسط الأربعينات- وداقوق (طاووق) الذي جرى تعريبه في بداية السبعينات، هناك قضاء دوبز (دبس) الحديث التشكيل والذي تم تعريبه كذلك، وقضاء مركز كركوك الذي تم تغيير طابعه القومي. وعدا هذه الوحدات الإدارية لم يبق أي قضاء آخر تابع للمحافظة. والمعلوم أن قضاء الحويجة لم يكن في العهد الملكي سوى ناحية تابعة لقضاء مركز كركوك. كذلك كان قضاء داقوق سابقاً ناحية تابعة لقضاء طوزخورماتو، وفيما بعد وحتى عام ١٩٨٧ كانت داقوق تابعة لقضاء مركز كركوك (أنظر الخريطة رقم ٣).

٤- إنخفاض نسبة السكان الكُرد وإرتفاع نسبة السكان العرب في محافظة كركوك والجدول رقم (٣) الخاص بالنسبة القومية للكُرد والعرب في محافظة كركوك ومركز قضاء كركوك دليل قاطع على هذه الحقيقة.

واضح أن انخفاض نسبة السكان الكُرد في محافظة كركوك وإرتفاع نسبة السكان العرب فيها يعود الى سبب واحد فقط هو عملية ترحيل المواطنين الكُرد من المحافظة وتعريبها، لأنه بلا شك فان المعدلات السنوية لعملية النمو الطبيعي للكُرد عالية حتى مقارنة بمثيلاتها للشعوب المجاورة.

٥- إن أحد أهم المخاطر المترتبة على نتائج ترحيل الكُرد من كركوك وتعريبها هو فقدان ثقة الشعب الكُردي بالحكومة المركزية، وهذا بدوره أحدث شرخاً في العلاقات الكُردية العربية. وإبقى القضية

(٣٢) نفس المصدر، ص٤٤.

الكُردية دون حل في العراق بشكل يكون قابلاً للإنفجار في أية لحظة. وتطبيق سياسة الترحيل وتعريب المناطق النفطية من كركوك كان ولا يزال عاملاً رئيسياً في عدم التوصل الى حل جذري للقضية الكُردية في العراق. ولا نغالي إذا قلنا أن هذا العامل هو أحد العوامل الرئيسية لإندلاع الحرب مجدداً بين الثورة الكُردية والحكومة المركزية في عام ١٩٧٤، كما كان بقاء القضية الكُردية دون حل مناسب وعادل عاملاً مهماً لإندلاع حربي الخليج الأولى والثانية.

نتائج البحث

النتائج الرئيسية لهذا البحث عبارة عن:

١- كانت كركوك منذ العهد العثماني مركزاً إدارياً مهماً، ومن ثم بعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة، وإستكشاف وإستخراج النفط فيها أصبحت من أحد أهم الألوية العراقية.

٢- إن كافة الوثائق التاريخية والدلائل الجغرافية والسكانية تشهد على كُردستانية كركوك.

٣- تعتبر بيئة كركوك من أحسن وأغنى بيئات الثروات النفطية في كُردستان العراق، للأسباب الآتية:

أ - تملك الحقول النفطية في كركوك حصة الأسد من إحتياطي نفط كُردستان والذي يخمن بـ(٥٠٪) من إحتياطي نفط العراق.

ب- أنتجت الحقول النفطية في كركوك من أعوام ١٩٢٧ - ١٩٧٤ أكثر من ٧٠,٢٪ من نفط العراق، وإنتاج النفط في منطقة كركوك أرتفع من ٦٢ مليون طن عام ١٩٧٤ الى ١٠٠ مليون طن في عام ١٩٧٩، وشكل في الثمانينات والتسعينات نسبة كبيرة من إنتاج النفط العراقي. مثلاً: شكل نفط كركوك عام ١٩٩٧ نسبة ٦٧٪ من المجموع الكلي لإنتاج نفط العراق.

جـ- يؤمن نفط كركوك أكثر من ٧٣,٧٪ من الإحتياجات النفطية لمصافي النفط العراقية.

د- ساهمت الحقول النفطية في كركوك في الأعوام من ١٩٣١ - ١٩٩٠ بأكثر من ٦٣٪ من المجموع الكلي لإيرادات النفط في العراق، هذه النسبة وصلت عام ١٩٩٧ الى ٦٧,٧٪، ويجب الاّ ننسى أن الحقول النفط في كركوك كانت حتى عام ١٩٥٠ المصدر الوحيد لإيرادات النفط في العراق.

هـ- مجموع كلفة وتنقيب وإنتاج البرميل الواحد من النفط في منطقة كركوك أقل من مجموع كلفة النفط في باقي مناطق العالم.

و- سعر بيع البرميل الواحد من نفط كركوك أعلى من سعر بيع برميل نفط جنوب العراق بسبب جودة نوعية النفط فيها من جهة، وتوفره في موانيء البحر المتوسط من جهة أخرى.

٤- لقد لعب نفط كركوك دوراً سلبياً في الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية لكُرد كركوك بشكل خاص وكُرد العراق عامة، لأنه كان عاملاً رئيسياً لترحيل الكُرد من كركوك، وتعريب المحافظة، وبقاء القضية الكُردية في كُردستان العراق دون حل دائم.

٥- إن مسألة ترحيل الكُرد من كركوك وتعريبها عملية بدأت منذ تأسيس الدولة العراقية، وأصبحت

شعار كافة الحكومات المتعاقبة في العراق، رغم أن تنفيذ هذا المشروع وطبيعته يختلف من حكومات لأخرى.

٦- من أخطر النتائج المترتبة على عملية ترحيل كُرد كركوك وتعريبها، فقدان ثقة الكُرد بالحكومة المركزية في العراق، وأحداث الشرخ في العلاقات الكُردية العربية، هذا عدا عن بقاء القضية الكُردية في العراق دون حل يكون الوضع فيه قابلاً للإنفجار في أي وقت.

٧- إن تطبيق سياسة ترحيل الكُرد من كركوك وتعريب المحافظة لم يتلاءم في أي وقت ومصالح الشعوب العراقية كُرداً وعرباً، يشهد على حقيقة توجهنا هذا تاريخ العراق ومنطقة الشرق الأوسط القريب (الحروب الداخلية في العراق وحربي الخليج الأولى والثانية) ومآسي الربع الأخير من القرن العشرين للشعوب العراقية كورداً وعرباً.

الجدول رقم (٢)

الأحياء المبنية للعرب الذين جلبتهم الدولة الى مركز مدينة كركوك حتى نهاية عام ١٩٨٩

الحي	عدد الدور المنشأة لهم
الكرامة	٦٠٠
المثنى	٥٠٠
كركوك الجديدة/ عرفة	٦٠٠٠
دور العمل الشعبي	١٠٠٠
دور الضباط	٥٠٠
البعث	٨٠٠
السكك	٤٥٠
الاشتراكية	١٠٠٠
الحجاج	١٠٠٠
الوحدة	٣٠٠
الحرية	٢٥٠
دور الأمن ودور ضباط الصف	٢٤٠
دور الشقق	٤٠٠
القتيبة	٧٥٠
غرناطة	١٦٠٠
الشرطة	١٠٠٠
الواسطي	١٥٠٠
العروبة	١٥٠٠
شهداء القادسية	٢٠٠
المجموع الكلي	١٨٦٩٠

الجدول من إعداد الباحث بالإعتماد على المصادر الآتية:

١- د. نوري الطالباني، منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي، لندن ١٩٩٥، ص٥٠ - ٥٢.

٢- د. عبدالله غفور، إثنو - ديموغرافية جنوب كُردستان، السليمانية ٢٠٠٠، ص ٣٨ - ٤١.

المصدر:١- المجموعة الإحصائية للتسجيل عام ١٩٥٧، لواء كركوك جدول رقم ١٦.

٢- شاكر خصباك، العراق الشمالي، بغداد ١٩٧٣، جدول رقم (١)، ص ١٣٥-١٣٨.

٣- فيصل الدباغ، الكُرد والأقليات في إحصائية عام ١٩٧٧، أربيل ١٩٩٣، ص ١٥-١٧.

٤- الدكتور عبدالله غفور، إثنو - ديموغرافية جنوب كُردستان، مركز الدراسات الستراتيجية لكُردستان، السليمانية ٢٠٠٠، ص ٧٣-٨٣.

الكُرد وحكاري وكركوك... أهم حلقة في الإثنوغينيسيا الكُردية

الدكتور رشاد ميران

الإثنوغينيسيا أي المسيرة التاريخية لنشوء الشعوب، مصطلح يوناني قديم، يستخدمه علم الإثنوغرافيا لدراسة كيفية نشوء وإرتقاء الشعوب. وفي الحقيقة أن هذا المجال أي الإثنوغينيسيا من أصعب وأهم المجالات الإثنوغرافية، لأن نشوء الشعوب يتم خلال تاريخ طويل مليء بالعناصر والأحداث، وينبغي وجود السمات والجذور والميزات الخاصة التي تعتمد عليها الإثنوغرافيا لإعتبار المجموعات شعباً (إثنوساً) أم لا. الإثنوغرافيا تعتبر عملية نشوء وتكوين الشعوب ظاهرة كبيرة ومعقدة لها جوانب كثيرة ومتنوعة، ولذلك ينبغي دراستها بتفرغ. ولهذا الهدف فإن الإثنوغرافيا تلجأ الى المستلزمات والمواضيع والفروع الأخرى من علومها مثل: التاريخ، الجغرافية، علم الإجتماع، الأنثروبولوجي، علم النفس، الإقتصاد... الخ.

وعلى هذا فدراسة المسيرة التاريخية لنشوء الشعوب بحاجة الى إختصاصات متعددة، ولهذا أيضاً فإن إثنوغينيسيا كثير من الشعوب لم تتوضح، ومعظمها مازال يتخلله الفراغ والشروخ والعقبات المختلفة، وبحاجة الى معالجة علمية ومنها الإثنوغينيسيا الكُردية، وبحثنا هذا لايتطرق الى دراسة الإثنوغينيسيا، بل هو محاولة لملء فراغ في عملية نشوء الشعب الكُردي الناتجة لعدد من الدراسات العلمية، وإثبات تاريخ أكثر قدماً مما ترسخ الآن في العلم لنشوء الشعب الكُردي كإثنوس على ضوء الأسس والقواعد العلمية للإثنوغرافيا.

وأهمية هذا الموضوع تكمن في أنه عدا كونه كما قلنا عبارة عن ترابط بين مرحلتين في تاريخ الكُرد، هو كذلك بلورة لدور منطقة كركوك وجبل حمرين في هذه العملية، وهو في حد ذاته له أهمية سياسية كبيرة بالنسبة الى ظرفنا الراهن، وماعدا ذلك ستكون هذه أول دراسة تتناول جانباً من عملية الإثنوغينيسيا الكُردية من وجهة نظر علم الإثنوغرافيا باللغة الكُردية.

ولانغالي إذا قلنا أن الشعب الكُردي في هذا الوقت بحاجة الى دراسات وبحوث أكاديمية أكثر من أي شيء آخر ومنها خاصة الإثنوغرافيا لتحديد وترسيخ المسحات والدلائل القومية، للتأكيد على خصائصه والتمسك بها وحفظها من الزوال، وذلك لتصحيح وتثبيت العملية التاريخية لنشوئه وإرتقائه، ولهذا الهدف أيضاً تكونت لدينا فكرة هذه الدراسة متمنين أن تكون مفيدة ونافعة وتملأ فراغاً في هذا المجال.

تاريخ الإنسانية عبارة عن عملية طويلة من الإجتماعات والتجمعات، التنظيم والتقدم، التغيير والحركة... وعلى هذا فالتاريخ يشبه تماماً كائناً حيّاً نقياً – مع أننا نسمع غالباً في أيامنا هذه توجّه أو مصطلح «نهاية التاريخ» أو «مرحلة ما بعد التاريخ». وينبغي حسب الذين يعتبرون التاريخ بشكل مطلق صراعاً أو منافسةً؛ برأي هؤلاء ان نظام التعددية القطبية والصراع يعني إنتهاء التاريخ[١].

خلال هذا العملية اللاإبتدائية والطويلة، أبدعت الإنسانية أعظم وأهم ظاهرة إجتماعية وهي المجتمع، ومن المعلوم أن مجتمعات الكرة الأرضية تتميز عن بعضها بجوانبها القومية قبل أي شيء آخر. ولذلك فإن المجتمع والقومية ملتصقان دوماً ولا ينفصلان. ولهذا فإن علمي الإجتماع والإثنوغرافيا مع أنهما علمان مستقلان، فإنهما أيضاً متقاربان جداً ومشتركان في العديد من المجالات، كذلك بالنسبة للعلاقة بين علمي التاريخ والإثنوغرافيا، ولاسيما في مجال الإثنوغينيسيا فإنها علاقة وثيقة جداً.

الإثنوس Ethnos مصطلح يوناني قديم تستخدمه الإثنوغرافيا بمعنى مجموعة أناس خاصة، ومتميزة عن الأخرى. بعبارة أخرى الإثنوس يعني مجموعة أناس مستقلين ذوي سمات وطوابع خاصة متميزة عن مجموعات أناس آخرين[٢] وتكتسب في المراحل التاريخية الملامح والمؤشرات الإجتماعية المختلفة، [مثل: القبيلة، وحدة القبيلة، الشعب، القومية]. الإثنوس في أية مرحلة تاريخية إجتماعية كانت فإنها نتيجة ونتاج عملية طويلة ومعقدة تاريخية وإجتماعية وثقافية كاملة لمنطقة واسعة، خلال هذه العملية تمتزج العديد من القبائل والشعوب والقوميات، أو حسب مصطلح الإثنوغرافيا يمتزج العديد من الإثنوس ويؤثر على بعضها، بعض منها ينصهر ويصبح أساساً لبروز إثنوس جديد. أو ثمة إثنوس يغّير مكان موطنه نتيجة لعدد من العوامل والأحداث – مثلاً: الإثنوس الهنغاري[٣]؛ أو هناك إثنوس تغيرت لغته أو إسمه القومي، وأحياناً يحدث أن يلعب إثنوس مكان قاصٍ جداً دوراً تاريخياً في تقرير مصير مجموعة من الإثنوسات في المنطقة – كدور فرياج إسكندناڤيا في تقرير مصير الروس، وشعوب منطقة القفقاس، وحتى الشعوب داخل حدود الدولة البيزنطية[٤] – وربما يشمل هذا الإنثوس الكُردي أيضاً، أو السلجوقيين والتركمان القادمين من آسيا الوسطى الى الشرق الأوسط الذين لعبوا دوراً إثنياً وثقافياً وسياسياً في تاريخ هذه المنطقة. وقل نفس الشيء بصدد الإثنوس القدماء لكُردستان اليوم – مثل الگوتي، اللولويي، الكاسي، الماد، المانا... الخ. الذين غدوا من الناحية التاريخية الأساس لنشوء الإثنوس الكُردي، ولم يبقوا هم الآن في الميدان.

(١) على سبيل المثال أنظر لوتزليتهامر (ما بعد التاريخ – هل انتهى التاريخ؟) ترجمة: فاضل جتكر، دار المدى – دمشق ١٩٩٥.

(٢) U. N. BROMLEY, G. E MARKOV ETNOGRAFIA, MOSKOVA, 1982 STR. 5.

(٣) بروميله بودولتي «إثنوس والتاريخ» ترجمة طارق معصراني، دار التقدم ١٩٩٨، ص١٣.

(٤) VSEMIRNAYA ISTORYA T.3 MOSKOVA 1957 STR 198 - 200

إذن إن عملية الإثنوغينيسيا الكُردية تضم عناصر وأجناس كثيرة ومتنوعة ولا يُستثنى أي منها من هذه القاعدة؛ ولهذا فإن الإثنوغرافيا تؤكد دائماً على القول ان كل الإثنوسات والعناصر والأجناس القديمة في بلاد مابين النهرين الأوسط والشمالي وكذلك ايران الغربية، والمعروفة لنا التي لعبت دورها التاريخي الكثير أو القليل في المنطقة، كل هؤلاء لعبوا دوراً في نشوء الإثنوس الكُردي كل حسب مرحلته ومستوى تطوره.

وينبغي هنا القول أن الإثنوس الكُردي بعد نشوئه لعب هو الآخر بنفس الشكل دوره في نشوء إثنوسات المنطقة الأخرى، وربما يلعب الآن أيضاً مثل هذا الدور. إذن فبإستطاعتنا أن نقسم عملية الإثنوغينيسيا الكُردية الى مراحل لعب في كل منها عدد من الإثنوس دوراً بارزاً في المنطقة عامة وفي العملية التي إنتهت نتيجتها بنشوء الإثنوس الكُردي خاصة.

وعن المراحل التاريخية لعملية الإثنوغينيسيا الكُردية فإن تصنيف العلامة الكُردي محمدأمين زكي يعتبر الى الآن من أحسن واصح التصنيفات اللتي اتتزال تحتفظ بأهميتها الخاصة، وبدورنا نحن كذلك نعتمد عليها هنا مثلنا كمثل المستشرقين الكُرد الكبار(٥).

- المرحلة الأولى: في هذه المرحلة لعبت شعوب سلسلة جبال زاگروس في الفترة مابين ١٥٠٠ – ٣٠٠٠ سنة ق.م دورها في بلاد مابين النهرين (الميزوپوتاميا) مثل اللولوئيين، الگوتيين، الكاسيين.
- المرحلة الثانية: هنا نزحت الشعوب الناطقة باللغات الإيرانية نحو غرب آسيا في الفترة مابين ٩٠٠ – ٧٠٠ سنة ق.م، أقبلت ونشرت اللغة والثقافة الإيرانيتين في هذه المنطقة مثل شعوب ماداي (ماد) وپارسوا (پارس).

المرحلة الثالثة: عهد كاردوخ في منطقة حكاري عام ٤٠١ ق.م.

الإسم القومي (إثنونيم):

من وجهة نظر علم الإثنوغرافيا ثمة علائم وجذور ومؤشرات ينبغي أن تظهر في مجموعة أناس ليجوز علمياً إعتبارهم إثنوساً، ومن هذه الموشرات والجذور التي يتفق بشأنها معظم العلماء:

١- الإسم القومي (إثنونيم)
٢- اللغة المشتركة
٣- الأرض المشتركة
٤- التاريخ المشترك
٥- التراث المشترك
٦- السيكولوجيا المشتركة

(٥) او. ل. ڤيلچيڤسكي: (أصل الكُرد – مسيرة نشأة الشعب الكُردي). ترجمة رشاد ميران الى اللغة الكُردية، ستكهولم ١٩٩٣، ص١٨. و محمد أمين زكي (كُرد وكُردستان) المجلد ١-٢-٣، بغداد ١٩٣١، إنتشارات ميديان مهاباد، ص٦٤-٧٨.

وكما هو واضح، فإن للإسم القومي (إثنونيم) أهمية رئيسية، لأنه بشكل عام لايمكن الحديث عن الظاهرة من دون إسم، ولاسيما ظاهرة مثل الـ(إثنوس)[٦]. وفي هذا الصدد يقول العالم الأنثروبولوجي الروسي المعروف ف. أليكسيف: نستطيع فقط أن نعرّف تلك المجموعة من الناس إثنوساً حيث يملك أعضاؤها الهوية القومية والإسم القومي المشتركين[٧]. مع هذا وبينما لانجد هناك إثنوساً بلا إسم، لكن في الوقت ذاته فإن ذكر الإثبات والدلائل لإسم بعض الإثنوسات على الأقل ليس بالعمل السهل ويواجه عدداً من العقبات، ذلك لأنه عدا أنه ليس لإثنونيم الشعوب من الناحيتين اللغوية والايثمولوجية إيضاحات مرضية، كذلك فنحن في هذا المجال تواجهنا مشكلة وجود نوعين من الإثنونيم هما:

الإسم القومي الذاتي (أندو إثنونيم) أي إسم أعضاء الإثنوس الذي يعرفون به أنفسهم. والآخر: الإسم القومي الخارجي (أكزوا إثنونيم) – الذي يستخدمه الآخرون على إثنوس واحد، مثلاً أعضاء الإثنوس الذين يطلقون علي أنفسهم (دويچ)، تطلق عليهم إثنوسات أخرى أسماء أخرى. الإنگليز يطلقون عليهم (الجرمن). الروس يطلقون عليهم (نيميتس)، السويديون يطلقون عليهم (تيسك)، الصرب يطلقون عليهم (شڤاپ)، الطليان يطلقون عليهم (تيديسكو)، الفرنسيون ومعظم الشعوب الأخرى يطلقون عليهم (ألمان). فهنا أن كلمة (دويچ) هي الـ(أندو إثنونيم) إسم ذاتي، وكل الأسماء الأخرى التي تطلق عليهم من قبل الشعوب الأخرى هي الـ(إكزو اثنونيم)[٨].

لذلك فعند دراسة إثنونيم شعب من المهم جداً أن نعرف فيما إذا كان هذا الإسم (أندو) أو (أكزو)، والبت في هذه المسألة يأخذ بعلمنا الى طريق الصواب الى حدّ، وأن هذا الجانب بالنسبة لموضوعنا ذو أهمية كبيرة، لأن لنا نفس مشكلة الإثنونيم الكُردي في عملية الإثنوغينيسيا الكُردية، وحلها يفسح لنا المجال لنصل الى نقطة البداية حول نشوء الإثنوس الكُردي.

وخلال فترة عملية الإثنوغينيسيا الكُردية التي تضم مجمل تاريخ الحياة الإجتماعية والثقافية فوق تلك المساحة التي تسمى كُردستان تظهر للعيان الشعوب والقبائل والفرق والقبائل بأسماء مختلفة وأسماؤها بعيدة جداً عن الـ(إثنونيم) الحالي للكُرد. عاشت هذه الجماعات في مراحل تاريخية مختلفة في كُردستان ولعبت أدواراً ونشاطات متعددة مثل: الگوتيين، اللولو، الكاسي، ماد، ماننا، كيرت...الخ، ونحن في هذه الحالة فيما عدا علاقة تاريخية وقرابه (جينيتية) بين هذه الإثنوسات والكُرد لانستطيع إثبات شيء آخر بشكل علمي، وهذا ما يعود غالباً الى عدم وجود إثنونيم كُردي وقتئذ – وفي هذا يكمن دور وأهمية الإثنونيم، لذلك ينبغي قبل كل شيء البحث عن الإثنونيم الكُردي على مساحة تاريخ المنطقة، والبدء من تلك النقطة.

إن ما إتضح لنا الى الآن هو أن أول إستخدام لـ(إثنونيم) الكُرد على الشكل الحالي وجد في

(٦) U. N. BROMLE " OCHERKI" TEORI ETNOSA MOSKOVA 1983/44/88/143.

(٧) P. ALEKSEEV ETNOGNEZIS MOSKOVA 1986/ STR./35.

(٨) U. N. BROMLEY. المصدر السابق ص٤٦.

المصادر التاريخية في سنوات بداية الألفية الميلادية الأولى، وبشكل أدق في عصر الساسانيين، عندما ورد في كتاب كارنامه أردشير بابكان، بأن أردشير مؤسس الدولة الساسانية عاش بين الرعاة الكُرد، ثم حارب ماديك ملك الكُرد[٩].

هذا أول إستخدام لإسم الكُرد بالشكل الحالي ورد في كتابة تاريخية، وذلك في العهد الساساني، القرن الثاني الميلادي. على ضوء هذا نستطيع البحث بثقة عهدئذ عن وجود الإثنوس الكُردي، لأننا نملك دليل الإثنونيم، ونستطيع أن نقرر بنفس الثقة أن هذا الإثنونيم إستُخدم قبل الساسانيين أيضاً، فاذنْ بمستطاعنا إعادة الإثنوس الكُردي الى عهد الهخامنشيين وتاريخه* على الأقل الى بدايات القرن الأول الميلادي.

هذا بالنسبة الى إثنونيم الكُرد بشكله الحالي المكتوب بالفارسية – البهلوية – في المصدر المذكور(كُرد) أو (كُردان). بيد أننا نملك شكلاً آخر من الإثنونيم الكُردي مختلف قليلاً في عهد مبكر جداً، نقصد عام ٤٠١ ق.م، وذلك في مصدر تاريخي بإسم (اناباسيس) الذي ألفه المؤرخ وقائد الجيش اليوناني گزنفون ويتحدث عن عودة (١٠) الآف محارب يوناني من إيران الى بلادهم، ويمرون وهم يحاربون مجبرين أو راغمين بمنطقة هكاري الحالية، ويواجهون قتالاً ومواجهة من قبل شعب يسمى (كاردوخ)، ولهذا الإسم أي (كاردوخ) أهمية تاريخية – إثنوغرافية ولغوية كبيرة جداً لنا – لاسيما إذا عرفنا أن هذا الإسم في الأصل هو (كاردو)، وكما أكد الإختصاصيون أن الحرف (خ) علامة الجمع في اللغة الأرمنية – الأورارتوبية ومن لغتهم وقعت على الإسم، ومن جانب آخرين فإنها أصبحت جزءاً من الإسم[١٠].

هنا إذن معنى الإسم (كاردوخ) يكون (كاردكان). وقرب هذا الإسم من إسم الكُرد، معلوم وواضح للجميع كاردو و(كُرد)، فإذا راعينا أن في اللغات الإيرانية (١) و(و) على الأقل في بعض الحالات تحل محل الأخرى بسهولة، ربما يكون لنا الحق الكامل أن نعتبر هذين الإسمين (كاردو) و(كُرد) إسماً واحداً، هذا إذا إستطعنا أن نؤكد أن لغة الكاردوخيين كانت إيرانية، لأن هناك بعض الآراء تشك في إيرانية لغة الكاردوخيين، كالمستشرق السوفيتي أو. ڤيلچيڤسكي[١١]. وكذلك البروفيسور الدكتور جمال رشيد[١٢].

وفي الواقع ليست لدينا أية دلائل ملموسة للقول أن لغة الكاردوخيين لم تكن إيرانية، وگزنفون نفسه لايذكر لنا شيئاً عن لغة الكاردوخيين، يشير فقط بأنهم أثناء تكلّمهم مع الكاردوخيين الأسرى أن

(٩) KITAB KARNAMA II ARDASHERI PAPKAN PREVODNA RUSSKI YAZIK U. M. CHU-NAKOVA.MOSKOVA 1987 STR 72/92.

* ثمة آراء أيضاً تعتبر أردشير والساسانيين عامة من الكُرد، أنظر كارنامه أردشير بابكان، ترجمة ودراسة شاسوار. خ هرشمي، السليمانية ٢٠٠٠، ص٢٣.

(١٠) د. جمال رشيد، دراسات كُردية في بلاد سوبارتو، بغداد ١٩٨٤، ص٧٣.

(١١) او. ل ڤيلچيڤسكي، نفس المصدر، ص١٧٨.

(١٢) د. جمال رشيد، نفس المصدر، ص٨٢.

مترجمهم الوحيد الذي كان يعرف اللغة الفارسية لم يحتاجوا إليه، بل لجأوا الى مترجم آخر، ولانعرف أية لغة كان يتقنها ذلك المترجم الآخر الذي ويحادث بواسطتها الكاردوخيين. وعلى هذ يصل ڤيلچيڤسكي الى نتيجة وهي أن لغة الكاردوخيين لاينبغي أن تكون إيرانية[١٣]. فقط لأن اليونانيين غيروا مترجمهم، ولانعرف السبب في هذا.

وهذه النتيجة برأينا ليس لها أساس قوي، ونحن نعرف تمام المعرفة أن اللغات الإيرانية منذ عهد مجيء الماديين والفرس الى المنطقة في القرن التاسع ق.م حتى عهد الكاردوخيين عام ٤٠١ ق.م أي بعد (٥) قرون كانت قد إنتشرت بشكل واسع. هنا وبسبب من أنّ إسم (الكاردوخ) أو (كُردكان) وصل الينا من اللغة اليونانية، وهذه بدورها من اللغة الأرمنية وغيرها، لذلك يحق لنا القول: إن هذا الإسم إسم قومي أجنبي (اكزو اثنونيم)، وهؤلاء أنفسهم ربما سموا أنفسهم (كُرد)، إذن فإن (كاردو) وقتئذ كانت (أكزو إثنونيم)، و(الكُرد) (اندو اثنونيم)... وثمة دلائل أخرى لإفتراضاتنا هذه.

يتحدث القس ميشيحا زخا صاحب مخطوطة (خرونيكا) آديابينا عن أحداث بلاد (كاردو)، أحد هذه الأحداث أو الحوادث إنتفاضتهم ضد پارفيا في عهد الملك ڤولوگيش (المتوفى ١٤٧م) الذي يهاجم البلاد أي بلاد (كاردو) بالتعاون مع جيش آديابينا.

وكثير من العلماء والمختصين يظنون بأن هذه البلاد هي بلاد (گورديينا) التابعة لبلاد (كاردوخان)[١٤]، ولكن ڤيلچيڤسكي بقراءة دقيقة لنص مشيحا زخا يقرر بأن القصد من المنطقة الجبلية لبلاد كاردو ليس أبداً بلاد كاردوخان، والدليل على هذا هو أن إنتفاضة كاردو أقلقت قبل أي شخص آخر ڤولوگيش ملك پارفيا في قطيسفون (المدائن)، ويطلب ڤولوگيش مراراً من حاكم آديابينا راكتاباكت أن ينجده بجيش، ويتوجه الجيش نحو قطيسفون، ومنها يتوجهان بجيشهما معاً نحو بلاد (كاردو). وإلاّ إذا كان القصد بلاد (كاردوخان) لكان راكتاباكت قلقاً من آديابينا قبل ڤولوگيش لأن بلاد كاردوخان قريبة من آديابينا، ولم يكن جيش راكتباكت والحال هذه يتوجه نحو الجنوب الى قطيسفون[١٥].

ان رأي ڤلچيڤسكي المعتمد على نص خرونيكا لآديابينا واقعي الى حد كبير، ومنه يصل ڤلچيڤسكي الى نتيجة وهي: إن بلاد (كاردو) ينبغي أن تكون موقعاً بين أديابينا (اربيل) وقطيسفون (المدائن)[١٦] – أي المناطق المحيطة بـ كاركا (كركوك)، وربما المقصود بـ(المنطقة الجبلية) – جبل حمرين الى الشرق وحتى جبال منطقة السليمانية. وهنا تسترعي نظرنا نقطتان؛ أولاهما؛ هنا أيضاً يواجهنا إسم (كاردو)، وعلى لسان الأجانب أيضاً ولانعلم أي إسم ذاتي كانت تحمله هذه الأسماء أي (كاردو).

وثانيهما؛ منذ ذلك العصر أي القرن الثاني للميلاد كانت مناطق كركوك موطناً للكُرد، ولهذا أهمية رئيسية لبحثنا، وليس هذا فحسب، بل هنالك توقعات حول سكان وبيوتات الكُرد داخل مدينة

(١٣) او. ل ڤيلچيڤسكي نفس المصدر ص١٧٨.
(١٤) د. جمال رشيد، نفس المصدر، ص٨٨.
(١٥) او. ل ڤيلچيڤسكي، نفس المصدر، ص٢٨٥.
(١٦) نفس المصدر

كاركادا[١٧]. وهذه التوقعات ليست بلا أساس واقعي وتؤيدها المصادر والإختصاصيون وعلماء معروفون. أحد هذه البيوتات كان ثمة إسم إيراني هو الإسم (بورزان) كما ورد في مخطوطة (خرونيكا) كاركادي بيت سلوخ[١٨] المكتوبة باللغة السورية الآرامية في القرن السادس الميلادي.

وهذا الإسم أي (بورزان) له سمه إيرانية، وكان شائعاً جداً في العصر الساساني[١٩] وبعض الإختصاصيين يربطون مسألة علاقة (بورزان) بعائلة شيوخ بارزان الحالية[٢٠] وهنا المسألة بحاجة الى توضيح، إذ أن ورود إسم عائلة بورزان في خرونيكا كاركادا له علاقة بعهد الدولة الآشورية، أي القرن السابع والقرون السابقة للميلاد.

هذا بصدد السكان القدماء لمدينة كاركا (كركوك) نفسها، ومن جهة أخرى فإن ڤلچيڤسكي يقرّب إنتفاضات بلاد كاردو الواردة في خرونيكا آديابينا الى الكُرد ويحد وطنهم من الجبال في كركوك والسليمانية، ولهذا توصل الى نتيجة مفادها ان مناطق كاركا والسليمانية وآديابينا من أقدم الأماكن لمواطن الكُرد[٢١]، ولهذا أساس كامل كما سنعود اليه فيما بعد في هذا البحث.

وهنا كما رأينا أن المشكلة الرئيسية في الإثنوغينيسيا الكُردية هي – الإثنونيم – ولاسيما إهمال دور (الأكزاو إثنونيم) أي الإسم القومي الخارجي أو الأجنبي، لكن الإثنوغرافيا في موضوع مسيرة نشأة الشعوب يبدأ من الإثنونيم، وقبل كل شيء البت في نوعي الإسم القومي: الأجنبي والذاتي.

وفقط هذه النقطة المفهومية أيضاً لاتدعُنا نتفق مع رأي ونتائج بعض العلماء والمختصين حول الإثنوغينيسيا والإثنونيم الكُرديَّيْن. منهم ڤيلچيڤسكي الذي أهمل إسم (كاردوخ) ولم يعتبره (أكزو إثنونيم)، لأنهم حسب زَعْمه لم يكونوا إيرانيين ودليله لهذا ضعيف جداً. كذلك ينكر الدكتور جمال رشيد إعتماداً على آراء نولدكه وإيسباغ وهيدي أن يكون (كاردو) و(كُرد) إسماً واحداً؛ والأكثر من هذا برأيه ان كلمة (كُرد) قبل أن تكون إسماً قومياً للكُرد كانت لها دلالة إجتماعية، أُطلقت على الرعاة[٢٢]. كذلك لم يهتم الدكتور جمال رشيد بنفس الصيغة بإثنونيم (كاردو) و(كُرد)، فعنده أن مواطن إنتفاضات (كاردو) يقع في منطقة بوتان. من جانب آخر لم يلتفت الى مسألة وهي أننا لاينبغي أن نهتم فيما إذا كان الأجانب والشعوب الأخرى يستخدمون أية دلالة لأكزوإثنونيم شعب من الشعوب. على سبيل المثال كان اليونان والرومان يطلقون على الشعوب الأخرى كلمة البربر، ولايزال هذا الإسم أكزوإثنونيم شعب شمال أفريقيا. لذلك فإذا كان علماء العرب الجغرافيون أطلقوا على كافة

(١٧) مدينة بيت كرخ سلوڤ (سلوك) = كركوك ،ترجمة من الفارسية، وريا قانع مجلة رامان، عدد ٤٩، ٥/٧/٢٠٠٠ ص٨١ – ٨٢. و(عن كتاب: شهرهای إيران در روزگار پارثيان وساسانيان) كتبه پيگولسكايا باللغة الروسية، وترجمة عناية الله رضا الى الفارسية.

(١٨) او. ل. ڤيلچيڤسكي نفس المصدر ص ٢٦٠ – ٢٦١.

(١٩) نفس المصدر.

(٢٠) نفس المصدر.

(٢١) نفس المصدر ص٤٥٨.

(٢٢) د. جمال رشيد، نفس المصدر ص٨٦ و٨٨.

الرعاة في بلاد إيران كلمة (كُرد)، فلايعني هذا أبداً أن إسم الكُرد لم يكن وقتذاك إثنونيم الكُرد، بل على العكس من ذلك، فإن هذا الإسم كان شائعاً الى درجة خيّم على كافة الأقوام والشعوب الأخرى الذي عاشوا مثلهم وسُموا بالكُرد.

ودليل آخر حول مسألة وحدة إسمي (كاردو) و(كُرد) كما نعرف ذلك جيداً في المصادر التاريخية، ففي القرن الثالث عشر كان إسم الكُرد قد ثبت وترسّخ وكان يستخدم كإثنونيم شعب بهذا الإسم ويدور دوماً على الألسن، ولكن في القرن الثالث عشر نفسه عندما يتطرق ماركوپولو الإيطالي للحديث عن الكُرد يسميّهم (الكارد) وبلادهم بـ(كاردستان)[٢٣]، إذن وبسبب وروده على لسان أجنبي فقد أصبح (أكزو إثنونيم)، وهنا لايشك أحد بأنه يعني الشعب الكُردي. وإذن فـ(كاردو) و(كُرد) كما وردتا هكذا دوماً ومنذ القدم كان لهما معنى مشتركاً.

لذلك فنحن نستطيع التوصل من أهم نقطة في مفهوم الإثنوغرافيا الى نتيجة وهي أن خلال فترات عملية الإثنوغينيسيا الكُردية ان كلا من إسمي (كاردو) و(كُرد) إسمان قوميان لإثنوس واحد وهو الإثنوس الكُردي، والإسم الأول عبارة عن (أكزوإثنونيم)، والثاني عن (أندوإثنونيم).

دلائل ومؤشرات أثنيكية أخرى:

وفيما عدا الإثنونيم الذي يعتبر من أهم الموشرات والجذور لتحديد الهوية القومية فهنالك دلائل وسمات أخرى – كما أشير اليها سابقاً – لها أهميتها، منها اللغة والأرض.

اللغة ظاهرة إجتماعية، وسمة لاية مجموعة من المجموعات، أو قبل أية مجموعة الإثنوس أيضاً. فاللغة عدا كل أهميتها وكضرورة حتمية للحياة تعتبر كذلك ظاهرة بارزة جداً وملموسة، وتميز سريعاً مجموعة عن المجموعات الأخرى ولذلك أيضاً أصبحت علامة مميّزة.

كذلك من الطبيعي بل من الضروري في عملية إثنوغينيسيا الشعوب (الى جانب الإثنونيم) دراسة الدلائل والمؤشرات مثل اللغة ودورها في هذه العملية. وبسبب من أن اللغة صاحبة ثقافة وتراث لذلك من المهم أن نعرف أية لغة يملك هذا الإثنوس، والى أية عائلة لغوية ينتمي، وأية صلة قرابة له مع إثنوس آخر. ولهذا الهدف فالاثنوغرافيا لها مفهومها الخاص بصدد تقديم الشعوب على أساس العوائل اللغوية.

إن بلورة نوعية لغات الشعوب خاصة لها أهميتها، إذ أنه في بعض الحالات يرد إسم قومية ما (إثنونيم) في الأساس من لغة وثقافة أخرى، ولايزال هناك إسم شعب آخر ينتمي الى ثقافة ولغة أخرى، مثلاً – البلغار. فإسم البلغار في الأصل تسمية لمجموعة قبائل ناطقة باللغة التركية كانوا يسكنون في منطقة بلغاريا الحالية، وكان سكانها الأصليون ينتمون الى اللغات السلاڤية. أخيراً إنصهرت الأقوام الناطقة باللغات التركية، لكن الإسم بقي وأصبح إثنونيم الشعب الحالي لبلغاريا

(٢٣) كتاب ماركو پولو، ترجمه من الفرنسية القديمة الى اللغة الروسية ى. پ مينايڤا، موسكو١٩٥٦، ص٥٨.

الذين ينحدرون من أصول سلافية وهندوأوربية[٢٤]، كذلك إسم المقدونيين الذي هو إسم يوناني قديم، لكن الآن هو إثنونيم شعب سلافي في يوغسلافيا.

وبسبب هذا الدور المهم للغة برزت مشكلة الإثنونيم في عملية الإثنوغينيسيا الكُردية، وذلك بصدد الكاردوخيين الذي يُزعَم أن لغتهم لم تكن إيرانية، ولذلك فرغم قرب إسمهم من إسم الكُرد فليس من الضروري أن يكونوا كوراً[٢٥].

لقد بيّنّا فيما سبق أن دليل عدم إيرانية لغة الكاردوخيين دليل ضعيف لايمكن الوثوق به، ولذلك أيضاً نستطيع إبراز الإفتراض القائل أن هؤلاء أيضاً –أي الكاردوخيين– مثل غيرهم من شعوب المنطقة كانت لغتهم إيرانية. أما لغة الكاردوئيين المنتفضين الذي ورد إسمهم في خرونيكا آديابينا، فربما نطمئن لا الى إيرانية لغتهم فحسب، بل الى كُرديتها أيضاً وذلك بالإعتماد على نظرة دقيقة لـ: ڤيلچيڤسكي كدليل لوجود اللغة الكُردية في ذلك العصر. وكما ورد في خرونيكا آديابينا، فإن قائد مقاتلي أو منتفضي بلاد كاردو كان رجلاً بإسم (كيزو) وهذا الإسم المنتهي بحرف (ˇ) (O) الإنكليزية لها سمة كُردية بارزة، برأي ڤيلچيڤسكي يمكننا القول بأن اللغة الكُردية آنذاك أي في القرن الثاني الميلادي كانت موجودة كلغة كاملة مستقلة[٢٦]. وهذا التوجه برأينا صحيح ويستحق الثناء لأن الحرف (ˇ) المقابلة لحرف(O) الإنكليزي شائع جداً في اللغة الكُردية وخصوصاً في النداء. هذا وعندما يقول ڤلچيڤسكي أن اللغة الكُردية آنذاك – القرن الثاني للميلاد – كانت موجودة واضح أنه لايقصد أبداً أن اللغة الكُردية نشأت فقط في تلك الفترة، بل هو يتحدث عن لغة متكاملة ومستقلة، أي أن اللغة الكُردية كانت وقتئذ قد مرت بحقبة تاريخية طويلة من نشأتها، وأنها كانت حينها لغة متكاملة كاملة النمو. وهذا ما يسهل لنا القول أن لغة (كاردو) هذه كانت نفس لغة الكاردوخيين – لأن هؤلاء أيضاً كانت لغتهم إيرانية، وليس ثمة أي حاجز يعترض طريق إلتقاء هذين الشعبين أي: (كاردو) و(الكاردوخيين) الذي عاش اولهما في منطقة كركوك وجبل حمرين، وثانيهما في منطقة حكاري.

إن الأرض المشتركة لمجموعة بشرية شرط ضروري لكي يعيشوا عليها، يختلطوا ببعضهم ويتوحدوا ويصبحوا (إثنوساً). إن أهمية الأرض المشتركة لأبناء أحد الإثنوسات تكمن في أنه عدا عن كونها وطناً ومستقراً لهم، فإنها تخطط لهم أيضاً الكثير من المجالات المادية والروحية، كالإقتصادية والثقافية والسيكولوجية... الخ. لذلك علينا في عملية الإثنوغينيسيا الكُردية العثور على المكان الذي بدأت منه هذه العملية أو على الأقل تحديد مكان عدد من حلقاتها.

حسب المصادر ورد أول ذكر لإسم الكُرد من الكاردوخيين كما قلنا، وموطنهم منطقة حكاري الحالية في كُردستان، كذلك بإستطاعتنا تحديد موطن الكاردوئيين حسب بعض الاراء في مناطق كركوك وجبل حمرين الحالية في كُردستان. لذلك بإمكاننا منطقياً أن نطرح السؤال التالي:

(٢٤) بروميله، بودلتي، نفس المصدر، ص٧٣.
(٢٥) او. ل ڤيلچيڤسكي، ص١٩٧، ٢٩٨: د. جمال رشيد ص٨١.
(٢٦) او. ل ڤيلچيڤسكي، ص٢٩٦.

ترى أي شيء أوضح وأكثر بياناً من أن منطقتين (هكاري وكركوك) كلتيهما تصبحان فيما بعد جزءاً من كُردستان، وسكان المنطقتين كلتيهما لهم إثنونيم (كاردو) القريب) جداً من إسم (الكُرد)، ولغة شعب كلتا المنطقتين كاللغة الكُردية الحالية كانت لغة إيرانية، إذن ما الذي يمنعنا لكي نعتبر هؤلاء الكاردوئيين السكان القدماء لمنطقتي كركوك وحكاري كُرداً، ومناطقهم كُردستان؟!

فهنا وبإعتمادنا على المصادر والدلائل الواقعية لنا كامل الحق في هذا الإعتبار، لأنه وفيما عدا شرط وجود الإثنونيم الخاص بسكان المنطقتين، فإن لدينا كذلك شرطا اللغة والأرض المشتركتين: إذ أن

«الاثنوس ينشأ فقط عندما يعيش أعضاؤه معاً، ويتعاملوا مع بعضهم البعض مباشرة، أي أن يعيشوا على أرض واحدة ومساحة واحدة ويتكلموا لغة واحدة أيضاً»(٢٧).

لذلك فنحن نعتبر عصور الكاردوخيين والكاردوئيين حلقة واحدة لعملية الإثنوغينيسيا الكُردية، مع أنه حسب ورودهما في المصادر ثمة فترة ٦٠٠ عام تفصل بينهما. وإذا صح ذلك –أي أن كاردوئيي منطقة كاركا لم يكن لهم وجود في عهد كاردوخيي حكاري– فلن يُنقص ذلك من رأينا أبداً، لأن مسيرة تطور الإثنوغينيسيا ترتبط دائماً بالتوسع والإنتشار، وأن كاردوئيي حكاري توسع موطنهم جراء هذه المسيرة حتى وصل الى كركوك وجبال حمرين في القرنين الأول والثاني الميلاديين. عدا هذا فان أحداث عهد الكاردوخيين وكاروئيي كركوك كلها دليل الوعي والمعرفة الذاتية الإثنيكية لهم مثل الحرب ودفا ع الكاردوخيين عن أنفسهم ضد اليونانيين، وإنتفاضة الكاردوئيين في منطقة كركوك ضد البارفيين، وقد أوضحنا سابقاً أن المعرفة الاثنيكية الذاتية نتيجة طبيعية لوجود الاثنونيم. إذن فشرط ضروري لوجود إثنوس إذ كان له اسم قومي خارجي وهو (كاردو)، وكان إسمه الذاتي (كُرد).

النتيجة

على ضوء ما تقدم بإمكاننا صياغة النتائج بشكل مختصر كما يلي:

١– تنشأ الشعوب عبر مسيرة تاريخية طويلة تلعب فيها العناصر والأجناس والظواهر والأحداث المختلفة دوراً كبيراً.

٢– من وجهة نظر علم الإثنوغرافيا هنالك دلائل ومؤشرات ينبغي أن تظهر في مجموعة أناس حتى يتم إعتبارهم شعباً (إثنوس)،و ما يتعلق بإثنوغينيسيا الكُرد فنحن نقف فقط على ثلاثة من هذه الدلائل: (الإثنونيم، اللغة، الأرض)، حيث إستطعنا أن نجدها عند كاردوخيي عام ٤٠١ ق.م. وهي برأينا بمثابة وثائق لوجود الدلائل والمؤشرات الأخرى، كذلك لوجود ظاهرة المعرفة الإثنية الذاتية

(٢٧) U. N. BROMLE, V. I. KOZLOV ETNOSI IETNICHISEI PROSESSI KAK PREDMET ISSLEDOVANYA (BKN) ETNICHISKIE PROSESSIV SOVRIMENNOMMIRE MOSKOVA/ 1978/ STR. 6 .

عند إثنوس كاردو (خ).

٣- الـ(كـاردو) و(الكُرد) كـانا إثنونيـمين لإثنوس واحـد، أولهـمـا كـان الإسم القـومي الأجنبي (أكزوإثنونيم)، وثانيهما الإسم القومي الذاتي (أندوإثنونيم).

٤- لقد كان كاردوخيو منطقة حكاري وكاردوئيي منطقة كركوك يتكلمون بلغة إيرانية، وكانت لغة هولاء الأخيرين أي كاردوئيي كركوك لغة كُردية متكاملة.

٥- بسبب من أن موطن الكاردوخيين كان (حكاري) وموطن بلاد الكاردوئيين كركوك وجبل حمرين وهما جزء من كُردستان، كذلك بالإعتماد على الدلائل والمؤشرات الأثنية الأخرى، نستطيع أن نعتبر هاتين المنطقتين الموطن والأرض المشتركة موطناً تاريخياً للشعب الكُردي الحالي.